شعر سميح القاسم في النقد السياقي –المنهج التاريخي أنموذجاً–

Samih Al-Qassem's poetry in Contextual Criticism - the Historical Method as a model -

زينب محمد حازم
د. غانم صالح سلطان
كلية التربية للعلوم الانسانية– قسم اللغة العربية

Zainab Mohammad Hazem
Dr. Ghanem Saleh Sultan
College of Education for Human Sciences - Department of Arabic Language

alhamdanilov@gmail.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢١/٤/٢١ تاريخ القبول ٢٠٢١/٦/١٤

الكلمات المفتاحية: شعر – النقد – المنهج التاريخي– النص الابداعي

Keywords: Poetry - criticism - historical method - creative text

الملخص

كشف البحث عن أهمية المنهج التاريخي في علاج تحليل النصوص الشعرية، فضلا عن الخطاب النقدي الذي تناول شعر القاسم وفق هذا المنهج، اعتمد البحث فيه على التحليل النقدي للنقاد الذين تناول قصائد القاسم تاريخاً وجمع هذه الآراء ومقارنتها وصولاً الى حقيقتها، فتحليل الأعمال الأدبية ضمن المناهج السياقية وخاصة المنهج التاريخي، يحتاج الى مصادر اخرى غير النص الإبداعي، وذلك لتوثيق الحوادث التاريخية التي جاء الشاعر على ذكرها في قصائده والتأكد من تأريخها وصحتها، فلذلك فالناقد الذي يعتمد المنهج التاريخي يحتاج الى ثقافة تاريخية ومصادر تاريخية ولا يكتفي بالنص الإبداعي وحده.

Abstract

The research revealed the importance of the historical approach in treating poetic texts, as well as the critical discourse that dealt with al-Qasim's poetry according to this approach. The research relied on the critical analysis of the critics who dealt with al-Qasim's poems historically and collected these opinions and compared them to their truth. The historical curriculum needs resources other than the creative text, in order to document the historical incidents that the poet mentioned in his poems and to ensure that they are dated and correct. Therefore, critics who adopt the historical method need historical cultural and historical sources and are not satisfied with the creative text alone.

المنهج التاريخي

يعد المنهج التاريخي من المناهج النقدية القديمة في العصر الحديث، وذلك لارتباطه بالتطور الاساسي للفكر الانساني، وانتقاله من العصور الوسطى، الى العصر الحديث، وهذا التطور الذي يمثل على وجه التحديد في بروز الوعي التاريخي، وهذا الوعي هو الذي يمثل السمة الاساسية الفارقة بين العصر الحديث والعصر القديم. أما فيما يتصل بالمجال النقدي تمثل المدرسة الرومانسية الوجهة التاريخية عند نشأتها، إذ جاءت، الحركة الرومانسية لتعكس الوضع بشكل أساسي، ولترى مسيرة الانسان في الزمن طبقاً لقوانين النشوء والارتقاء والانتقال من البدائية الى المراحل المتقدمة [١].

ويرى الدكتور يوسف وَغليسي أن المنهج التاريخي هو الصرح الذي واجه المناهج النقدية الحديثة المتلاحقة التي "انبثقت خصماً على المنهج التاريخي، وكلها قد استمدت بصيغة من الصيغ قانونها الأساسي من الاعتراض عليه أو مناقضته جذرياً"[٢] وهو منهج يتخذ من حوادث التاريخ السياسية والاجتماعية، وسيلة لتفسير الأدب، وتعليل ظواهره .ومن أبرز ممثليه :

١- هيبولت تين الفيلسوف والمؤرخ والناقد الفرنسي الذي درس النصوص الادبية في ضوء تأثير ثلاثيته الشهيرة :

-العرق أو الجنس بمعنى الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفرد الامة الواحدة المنحدرة من جنس معين .

-البيئة أو المكان أو الوسط بمعنى الفضاء الجغرافي أو انعكاساته الاجتماعية في النص الادبي.

-الزمان أو العصر أي مجموعة الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرها على النص .

٢- فرديناند برونتير الناقد الفرنسي الذي أمن بنظرية التطور لدى (داروين) وانفق جهوده في تطبيقها على الأدب ممثلا الانواع الأدبية كائنات عضوية متطورة، فالأعمال الأدبية أيضا تنمو وتتطور من فن الى آخر، بفعل الازمنة المتعاقبة [٣].

---

(١) ينظر: مناهج النقد المعاصر، د. صلاح فضل، ميريت للنشر والمعلومات، ط١، ٢٠٠٢: ٢٥-٢٦.

(٢) في آليات النقد الأدبي، عبد السلام المسدي، دار الجنوب، تونس، ١٩٩٤ :٧٩.

(٣) ينظر: مناهج النقد الأدبي، يوسف وغليسي، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧ : ١٥.

٣-سانت بيف الناقد الفرنسي المشهور استاذ (هيبولت تين) الذي ركز على شخصية الاديب، فيرى أن الأدب وعاء لشخصية الاديب يعبر عن رأيه وشخصيته في موضوع ما .
٤-غستاف لانسون ويعد الرائد الاكبر للمنهج التاريخي، فهو الذي حدد خطوات المنهج التاريخي وطبقه بمقالته الشهيرة (منهج تاريخ الادب).

وتتضح أهمية المنهج التاريخي في حال أردنا أن ندرس مدى تأثير العمل الأدبي، أو صاحبه بالوسط ومدى تأثره فيه، أو دراسة الاطوار التي مر بها فن من فنون الأدب أو لون من الوانه، أو في معرفة مجموعة الآراء التي أُبديت في عمل أدبي أو في صاحبه، والتوازن في هذه الآراء، أو لنستدل فيها على لون التفكير السائد في عصر ما، أو أن نجمع خصائص جيل أو أمة من أدبها، أو أن نجمع بين هذه الخصائص ومجموعة الظروف التي أحاطت بها، أو أردنا أن نحرر نصاً او نصوص عدة لنتأكد من صحتها أو صحة نسبها الى صاحبها، وتقييم الاعمال الفنية الفردية، أو تقويم صاحبه [١].

ولقد تأثر شعر سميح القاسم بالمراحل التاريخية التي مرت على بلاده والبلاد العربية من حوله، فقد واكب شعره الثورات والانتفاضات في وطنه وأشاد وأيد وكتب شعراً يثير حماسة المقاتلين، ويخلد شجاعة هؤلاء المقاتلين ليكونوا الجسر الواصل الى الحرية، كما وتحدث عن صمود المدن العربية في وجه الاحتلال وكيفية تخليد هذا الصمود على صفحات التاريخ ليكون عبرة لكل معتبر. فلقد اتجهت انظار المستعمرين الى الوطن العربي لما يمتلكه من خيرات، وموقع استراتيجي مهم .

إذ تعد فلسطين قلب الوطن العربي، وواسطة عقده، ومهد الديانات التوحيدية الكبرى، وملتقى الحضارات، ولموقعها أهمية كبرى من النواحي الاستراتيجية والسياحية والدينية، ويشهد تاريخ فلسطين، أن مصيرها دوماً مرتبط لأوضاع الجزيرة العربية، ومصر وسوريا والعراق، فلقد زاد اهتمام الاستعمار الغربي بالمنطقة العربية في أعقاب احتلال بريطانيا للهند في الفرن السابع عشر، كما ايقظت حملة نابليون على مصر أطماع بريطانيا وغايتها في السيطرة على المنطقة بشكل كامل، فسيطرت على فلسطين وعدد من دول الوطن العربي، وبعد عدة اتفاقيات ومؤامرات أعطت بريطانيا لليهود وعد بلفور، وذلك بإقامة وطن لليهود في فلسطين، ومن هنا بدأت الهجرات اليهودية الكبرى فتمت الهجرة الكبرى الاولى عام (١٨٨٢) وتوالت الهجرات اليهودية من جميع بقاع العالم ،لتبدا مرحلة جديدة في تاريخ فلسطين، أما يقظة

(١) ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٣: ١٦٥.

العرب فقد جاءت متأخرة وعاجزة[١]، وبذلك بدأت مرحلة النضال والمقاومة، في جميع مناحي الحياة فنهض، فضلاً عن الى المقاتلين في ساحات المعارك الادباء والمفكرين والشعراء، والمصلحين للمشاركة في هذه المقاومة المستمرة الى يومنا هذا.

الأحداث التي اثرت في شعر سميح القاسم

١-احداث ١٩٤٨ وما بعدها

في هذا التاريخ تعلن اسرائيل استقرارها بعد انتهاء الانتداب البريطاني، وتعلن الجيوش العربية هزيمتها في ردعها [٢] ففي هذا التاريخ انتهت الاحداث التي حولت معظم الشعب الفلسطيني الى لاجئين داخل وخارج فلسطين، ومن الطبيعي أن تصبح هذه الاحداث معالم بارزة في تحولات الخطاب الشعري الفلسطيني بشكل عام وشعر سميح القاسم بشكل خاص، فهذه الاحداث حلقة أولى في سلسلة تطور المفاهيم الموضوعية، التي واكبت القصيدة وأسست لأدب المقاومة، الذي يعد بعض شعراءه من شهداء الثورات، ونلمس ايضا أن التجربة الشعرية في هذه المرحلة اكتسبت خصوصيتها الفنية والموضوعية، فكانت اقرب الى الواقعية، وأكثر التزاما بالموضوعات الوطنية، إذ كانت تستشعر الخطر القادم[٣].

ففي فترة (١٩٤٨-١٩٦٧) اجتاز الشاعر الفلسطيني حالة من الذهول التي لم يستفيق من اثارها الا في اواخر الخمسينيات، هذه الفترة فترة الشعر الفلسطيني المقاوم، كما عرفت هذه الفترة بروز جيل التزم بالمقاومة، كذلك تسابق شعراء الارض المحتلة في تسجيل ورصد الاحداث داخل الارض المحتلة وخارجها (المنفى)،[٤] لاسيما أن الشعراء ومنهم شاعرنا فقد تأثر بهذه الاحداث والثورات فكانت أشعاره عبارة عن وثيقة نضالية تاريخية. ففي قصيدة (صوت الجنة الضائعة) التي تنتمي الى مجموعته الشعرية (أغاني الدروب) الصادر

---

(١) ينظر تاريخ فلسطين الحديث، د. عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط١٠ ،١٩٩٠ : ١١-٧١ .

(٢) ينظر: تسلسل للتاريخ الفلسطيني منذ الحرب العالمية الاولى، تقرير BBC News، ٢٧ يوليو / تموز ٢٠١٧.

(٣) ينظر: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد ١٩٧٠، إعداد جمال مجناح، بإشراف أ.د. العربي دحو، جامعة الحاج لخضر- باتنة ، الجزائر،٢٠٠٧ -٢٠٠٨ : ٣٣-٣٥.

(٤) ينظر: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني بعد ١٩٧٠ :٤٥.

عام ١٩٦٤ ، ويقول في مطلعها [١]:

صوتها كان عجيباً

كان مسحوراً قوياً .. وغنياً ..

كان قداساً شجياً

نغماً افلته الفردوس في

آفاقنا لفّنا وانساب في أعماقنا

ترى رقية زيدان أن الشاعر في هذه القصيدة يصور النكبة، وضياع الفردوس، فلقد كان للنكبة الاثر البالغ والمدى العميق، في وجدان الشاعر الفلسطيني المقاوم، ونفسيته وضميره، لما أصاب وطنه وأهله من تشريد وتجريد ونفي، وهجرة ومعاناة، فلقد بلورت هذه النكبة الاتجاه الواقعي في الشعر الفلسطيني فبدأت الاقلام الادبية وقرائح الشعراء تعبر عن النكبة وما حل بالشعب الفلسطيني، في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، فصوروا الوطن والنكبة والضياع والتهجير واللجوء، فالشاعر صور وجسد النكبة والضياع في قصائد عدة مثل قصيدة جيل المأساة وقصيدة رسالة الى الله، وقصيدة اطفال ١٩٤٨ وقصيدة بابل وقصيدة الذئاب الحمر[٢] .

ونحن نتفق مع ما ذهبت اليه الدكتورة في كون القصيدة تصور مأساة النكبة، وينبغي الاشارة هنا الى أن الشاعر لم يتجاوز العشر سنوات أيام النكبة، ولكن هذا التاريخ لا يمكن لأي فلسطيني وعربي أن ينساه حتى وان كان لم يعاصره، فهذا تاريخ ضياع الفردوس . وكأن الشاعر أراد أن يقول بأن العرب خسروا فردوس أخر غير الاندلس . وفي قصيدة (أطفال ١٩٤٨) ترى رقية زيدان أن الشاعر في هذه القصيدة يصور نكبة ١٩٤٨، والظروف المأساوية التي لاقاها الشعب الفلسطيني، فصور تحطيم القرى العربية وطرد أهلها وتشريد أبناءها عن أرضهم، فكانت هذه القصيدة تجسيد لملامح النكبة عام ١٩٤٨ [٣] يقول فيها [٤] :

" **يا اخوتي السمر العراة .. و يا روايتي الأليمه**

غنّوا وارقصوا بين الكوارث والخطايا "

فالشاعر يتحسر على ضياع الوطن وما خلفه هذا الضياع من كوارث، فالشعر يصف هذه الاحداث بالرواية الاليمة، وأي رواية، رواية حقيقية عاشها الفلسطيني وما يزال الى وقتنا

---

(١) ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت،١٩٨٧ : ٥٩.

(٢) ينظر: اثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني، محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، رقية زيدان، دار الهدى، ط١، ٢٠٠٩ :١٠٢.

(٣) ينظر: أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني :٥١ – ١٠٢.

(٤) الديوان: ٤٨.

الحالي يتحسر على ما فيها من أحداث، ويتمنى عودة الزمن للإستبسال وتغير مجرى ما حدث، وفي نهاية القصيدة يعود الشاعر الى شعوره التفاؤلي، بانهم سوف يضعون سطور جديدة لخاتمة هذه الرواية سطور تنهي الظلام، وتفخر بشروق جديد لا يشوبه غيوم سوداء.

كذلك قصيدة بابل إذ تظهر هذه القصيدة ملامح النكبة وأثرها على شعبه، ولكن الشاعر في هذه القصيدة ركز على الثورة والخلاص والامل في التحرر أكثر من تركيزه على أحداث تاريخية، لكنها لا تخلو بدورها من هذه الوظيفة يقول فيها [١] :

فاصبري يا لطخة العار التي

خطَّهـا الامـس علـى وجهـي كتابـا

وانظري النار التي في أضلعي

تهزم الليل وتجتاح الضبابا

وفي قصائد الشاعر تصوير لسقوط المدن والقرى العربية وما لاقته هذه المدن من دمار وتخريب كما في قصيدة الى حارس فنار عكا التي يقول في مطلعها[٢] :

"**ملَّت شباكُ الصيد الانتظارْ**

يا حارس الفنار

والقارب المهجور

غطت رمالُ الشطّ دفتَّه "

ترى الباحثة إيمان غالب شعبان، أن الشاعر يصور في هذه القصيدة سقوط مدينة عكا بيد الاحتلال إذ اصبحت خاوية من أهلها، مهجورة بدت عليها ملامح الانكسار والهزيمة، فيسجل القاسم هذا الوضع المأساوي لهذه المدينة وينطلق من دائرة تسجيل الاحداث، الى الدعوة الى انقاذها من قيود المحتل الصهيوني وتخليصها من اسره [٣]، فالشاعر يصور كيف آلت اليه المدينة بعد الاحتلال، فقد اصبحت مهجورة تبكي سكانها وجدرانها، ولكن الشاعر متمسك بالأمل الذي يقول بأن هذه المدينة لابد أن تتحرر وتعود الى احضان الوطن. كما في قصيدة (ليد ظلت تقاوم) هذه القصيدة من مجموعة الشاعر (دمي على كفي) والنص يصور مذبحة كفر قاسم التي ارتكبها اليهود بحق العرب الفلسطينيين والشاعر يدعو صراحة الى

---

(١) الديوان: ٧٠.

(٢) المصدر نفسه :٥٢٦.

(٣) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم، ايمان غالب شعبان مرقة، إشراف نادر قاسم، جامعة الخليل، ٢٠٠٦ :١٠٦

المقاومة[١] ويقول في مطلعها[٢] :

بِركة دكناءُ في قلبي
وفي وجهي سَحابة
ونجيع ساخن
يصرخ في وحشة غابة
وعلى قارعة الدرب وعاءات نحاس "

ويرى محمد عبد عبدالله عطوات على هذه القصيدة، وقال بان الشاعر قد صوّر من خلالها مجزرة كفر قاسم الرهيبة وأن الشعراء بوجه عام قد استمدوا من نار هذه المجزرة وعنفها وبشاعتها العديد من قصائدهم التي تحمل حرارة النار وقوة الصرخة لهذا الدم المسفوك[٣] .

وترى رقية زيدان أيضا أن الشاعر قد نظم هذه القصيدة بخصوص مجزرة كفر قاسم التي ارتكبها الجيش الاسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني والقصيدة فيها الكثير من الغضب والثورة [٤].

ونحن نذهب الى ما ذهبا اليه الدكتور محمد ورقية ، فالنص يصور مذبحة كفر قاسم، وهي الفكرة الرئيسة في القصيدة بما تحويه من الم وحزن ومرارة بطابع لا يخلو من التهكم والسخرية .

أما الباحثة ايمان شعبان مرقة ترى أن القاسم يربط بين العدوان الثلاثي على مدينة بور سعيد، ومذبحة كفر قاسم، فمدينة بور سعيد تتعرض لهجوم قاسٍ وعنيف من قبل العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، بسبب تأميم قناة السويس، أحد أهم الانجازات للثورة المصرية وما بذلته هذه المدينة من شهداء وجرحى، ولكن على الرغم من ذلك أنها تقاوم في سبيل الحرية [٥].

ونحن نختلف مع الباحثة لأن الفكرة الرئيسة للنص هي تصوير مذبحة كفر قاسم التي حدثت عام ١٩٥٦، و صادف في العام نفسه العدوان الثلاثي على بور سعيد، فالشاعر لم

---

(١) ينظر: المقاومة في الشعر العربي المعاصر محمود درويش، سميح القاسم أنموذجاً، إعداد القذافي محمد أحمد القائدي، إشراف كولان علي السنوسي الشريف، جامعة سرت، ٢٠١١-٢٠١٢: ٣٧.

(٢) الديوان: ٤٥٩.

(٣) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨-١٩٦٨، محمد عبد عبدالله عطوات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٩٨: ٢٢٥.

(٤) ينظر: أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني :٢١٢.

(٥) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم :١٩٧ .

يفوت فرصة ذكر هذا الحدث، تزامنا لما يحدث في كفر قاسم فالوطن العربي جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له جميع اعضاء الجسد بالسهر والحمى، ويرى، جمال طالبي وعسكر بابازاده اقدم أن هذه القصيدة ذات طابع تهكمي شكلا ومضمونا، كتب الشاعر هذه القصيدة بعد مجزرة كفر قاسم التي كانت من أبشع المجازر التي شهدتها الانسانية في فلسطين على مسرح الحياة، و تركت حزناً ثقيلا في قلوب الفلسطينيين، وجرحا عميقا في ضمائر الانسانية وكان الشعب الفلسطيني قد طالب من السلطات الاسرائيلية أن تقيم محكمة تصدر حكما عادلا لما حدث فشكلت لجنة تحقيق صورية حوالي سنتين بعد أن احدثت الجريمة صدى مؤلماً في الرأي العام العربي والعالمي، ثم صدر حكم ضئيل فجرح ذلك قلب الشاعر ودفعه الى نظم هذه القصيدة [١] فالشاعر استشعر الخطر الذي يحدق بوطنه، وكيف مصير هذه الامة صار بيد أعداءها، فهو يسخر من هذا الواقع الذي سيصبح عادة طبيعية يومية فالسكوت على هذه الجريمة هو قبولها وتشجيع ارتكابها بحق الفلسطينيين العزل الذين يساقون الى الموت بلا رحمة .

وفي قصيدة (ليلى العدنية) التي تنتمي إلى ديوان الشاعر (دخان البراكين)الصادر في القدس، والقصيدة طويلة جدا، أشبه ما تكون ملحمة شعرية إذ تتكون من احد عشر مقطع وقد صدّر الشاعر القصيدة بـ قوله [٢]:

"**قصيدة دم .. على ربابة شهدائنا**":

الى واحد من فدائي الشمس في جنوبنا المقاتل ..

واحد .. من الرجال الذين أرادوا الحرية، فاخترقوا اليها الموت !..

الى الجندي الذي صنع من عظام أطفاله القتلى، سكاكين ثأر، ومناجل حصاد .. ومن حجارة بيته المنسوف، صنع تماثيل أطفال، وقوارات ورد ..

الى .. القوي مكاوي أخاً، ومعلماً !

من :

سميح القاسم " ويقول في مطلعها [٣]:

"**شاءها الله شهيَّة !**

شاءها الله .. فكانت .. كبلادي العربية !

---

(١) ينظر: آليات الخطاب التهكمي واتجاهاته في شعر سميح القاسم، جمال طالبي وعسكر بابازاده اقدم، أفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الانسانية والدراسات الثقافية، السنة العشرون، العدد الأول، الربيع والصيف، ١٤٣٨: ٤٩.

(٢) الديوان :١٥٣.

(٣) الديوان :١٥٣.

شَعرُها .. ليلةُ صيفٍ بين كثبان تهامةْ
مقلتاها .. من مهاة يمنيّة
فمها .. من رُطب الواحة في البيد العصيّة "

ترى رقية زيدان أن الشاعر في ليلى العدنية يجسد انتماءه العربي، فليلى ترمز الى القومية العربية، والى حركات التحرر في العالم العربي في مصر وسوريا وليبيا والعراق واليمن والسودان والجزائر [١] .

فالشاعر لا يحتاج الى اثبات أو تجسيد عروبته، فهو فلسطيني الجنسية وعربي القومية .وأن الفكرة الرئيسة لا تدور حول الشاعر وما يريد أثباته، هذه القصيدة رسالة وثورة بحد ذاتها .

أما إيمان غالب شعبان مرقة ترى أن الشاعر يشير الى مدينة عدن ،ومدن اليمن الجنوبي عامة، وتدعو ابناءها إلى الثورة والوقوف إلى جانبها في مجابهتها للمستعمر البريطاني، الذي ارتكب في اليمن الجنوبي افظع الجرائم الوحشية، وهذه المدن مؤمنة بالأمل في تغير ذلك الوضع المأساوي الذي تحياه، وترى الباحثة أن هذه القصيدة أظهرت الوجه المشرق للوطن العربي، فقد ظهرت مدينة عدن من خلال ثورة أبنائها [٢].

ورداً على ما ذكرته الباحثة، فأن الشاعر في هذه القصيدة لم يركز على المكان بقدر ما ركز على الزمان والاحداث . فالقصيدة تتحدث عن انطلاق أحداث ثورة ١٤ اكتوبر عام ١٩٦٣ لتحرير الجنوب العربي اليمني من الاستعمار البريطاني، إذ شكلت عدن نقطة فارقة في تاريخ النضال الطويل [٣] وتركيز الباحثة على المكان لا الزمان الذي يشكل الفكرة الاساسية والواضحة في النص جاء لخدمة موضوع بحثها، أكثر من كونه بني على اسس موضوعية .

ويرى محمد خاقاني اصفهاني ومريم جلائي أن الشاعر في هذه القصيدة يرسم للقارئ معركة بين العرب في اليمن وبريطانيا، فالشاعر يرمز للامة العربية بعدن وليلى فتاة عدنية شهية يحاول العدو سبيها فيمضي ابوها للدفاع عنها، وتدفعه غيرته الى الإستشهاد، الا انها تحرض أبناء عمها لمواصلة النضال و الصمود أمام العدو، في بداية القصيدة يؤمن الشاعر

---

(١) ينظر: أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني :١٦٣.
(٢) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم :١٩٠-١٩٢.
(٣) ينظر: من هي ليلى العدنية التي خصها الشاعر الفلسطيني سميح القاسم بملحمته الشعرية، إعداد خالد انس، مجلة عدن الغد، الجمعة ٢٩ نوفمبر ٢٠١٣.

بحتمية الانتصار لصالح العرب، الا انها تسقط في نهاية القصيدة كما سقطت فلسطين[١] وكما سقطت جميع الدول العربية، إذ جمعت ليلى في هذه القصيدة كل العروبة الانها سقطت نتيجة تخاذل العرب وعدم الوقوف يداً واحدة في ردع العدوان الذي يواجه جميع الدول العربية.

٢-أحداث ١٩٦٧ وما بعدها

في عام ١٩٦٧ حشدت الجيوش العربية لمعركة تحرير فلسطين، ولكن باءت هذه الجيوش بالهزيمة ففي الخامس من حزيران في العام نفسه خرجت مقاتلات وقاذفات اسرائيلية، وغارت على الاجواء المصرية ودمرت عشر مطارات ،وسلاح الجو المصري،، ثم جاءت هزيمة احتلال القوات الاسرائيلية شبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان والضفة الغربية والقدس الشرقية، ودمرت مطارات سوريا والاردن، لقد كان طعم الهزيمة أشد مرارة وبالغ القسوة، وذلك للمفارقة المذهلة بين الامل الذي كانت أجهزة الاعلام تبشر به وتبثه وبين الواقع الكئيب الذي انتهينا اليه، لقد اثرت هذه الهزيمة اشد الاثر بين أوساط الكتاب والمثقفين والشعراء عامة، أما شعراء المقاومة ومنهم شاعرنا لم يتلق هذا الخبر بروح تشاؤمية بل اتخذ من أدبه ،موقفاً ورؤية يبعث الامل والصمود فنظم عدة قصائد ثورية بروح نضالية تفاؤلية لمواصلة النضال والحياة[٢].

ورأي الباحثة بأن الشاعر سميح القاسم لم يتلق هذا الخبر بروح تشاؤمية، بل بقي محافظا على الروح النضالية، ينبغي القول بأن شاعر تأثر أشد التأثير بهذه الأحداث، وبث في قصيدته شيئاً من التشاؤم والسخرية والعتب فهذه الهزيمة شكلت وصمة عار في جباه الحكام العرب، كما أثرت بالشارع العربي وبكل عربي يرى في خلاص فلسطين تحرر من العبودية والوقوف بوجه الصمت، ولكن مهمة الشاعر التي ميزته جعلت الشاعر يخفف من وطأة ردة فعل الشاعر في التعبير عن هذا الآلم ويحوله الى أمل لكي يكون منارة تنير درب التحرر، ففي قصيدته (من هنا تعبر النسور) [٣] .

كنتُ تلميذاً .. وكان
في دمائي أُفعوان
علَّموني .. أنني صفر وضيع علَّوني

---

(١) ينظر: التراث الديني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية، محمد خاقاني اصفهاني ومريم جلائي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، فصلية محكمة، العدد٥، ربيع ١٣٩٠-٢٠١١ :٩-١٠.

(٢) ينظر: أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني :١٠٥-١٠٦.

(٣) الديوان :٥١٣ .

أنني خرقةُ عار وهوان ..

ولدٌ .. خلّفه الأعراب في بيد الزمان!

فالباحثة ترى أن القاسم يعبر عن حزنه وألمه ساخراً من الجيوش العربية، فعندما استعدت الجيوش العربية لمعركة المصير وتحرير فلسطين، واستنفرت الجيوش العربية لتندلع حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧، وعلى الرغم من أن اذاعة صوت العرب في الايام الستة الاولى كانت تذيع خبر انتصارات الجيوش العربية وسقوط الطائرات الاسرائيلية، الا أن الجيوش العربية في تلك الليلة كانت تعيش ليلة انس وسهر [١].

ففي هذه القصيدة يظهر حزن الشاعر وآلمه الشديد لهذه الهزائم، بعد أن ضاع أمل الشعب الفلسطيني بالنصر وطرد الاسرائيلي المحتل من أرضه، تأتيه ضربة قاضية، تنهي أمله بالتحرير والنصر، والشاعر عبر عن هذا الموقف بأسلوب ساخر، عكس حالته النفسية والشعورية .وفي (قصيدة في الخامس من حزيران) التي تنتمي الى المجموعة الشعرية(في انتظار طائر الرعد)، يقول في مطلعها [٢] :

في الخامس،

من شهر حزيران الماضي

أرجعنا للموت حقائبه الدبلوماسيَة

يرى محمد عبد عبدالله عطوات أن الشاعر في هذه القصيدة يرى أن قضية الشعب والارض –الضحيتين – تعرض على الامم المتحدة، وكأن الشعب الفلسطيني يتيم ليس له من يدافع عنه، وينتقم له، فالبلدان العربية لا دور لها في مساعدة الشعب الفلسطيني الشقيق، بل هي على النقيض مما يتوجب عليها فعله، تستمر في ضخ البترول للدول الداعمة لإسرائيل [٣] فعلى الرغم من الخسائر التي منيت بها الدول العربية في حرب حزيران إلا أنها لازالت تقدم لها يد العون في ضخ البترول لها وكأن الشاعر يتساءل كيف يمكن أن تكون خصم لعدو ما وتقدم له المساعدة، فهناك تشكيك من قبل الشاعر في كون هذه الحرب حقيقية وليس مجرد غطاء أو صورة لإسكات غضب الشعوب العربية .التي رأت في هذه الحرب الخلاص من المحتل الصهيوني في الوطن العربي. لكنها صدمت كما صدم الشعب الفلسطيني بهزيمة مخزية بلا مقاومة .

---

(١) ينظر: ظاهرة الموت في شعر سميح القاسم، إعداد أمل عبد اللطيف داود حسن، بإشراف أ.د. إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس– فلسطين، ٢٠١٧ :١٢٨.

(٢) الديوان : ٤٢٨.

(٣) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨–١٩٦٨ : ٣٢٥.

وترى رقية زيدان أن هذه القصيدة نظمها الشاعر على أثر نكسة عام ١٩٦٧، فنظمها بروح تفاؤلية لمواصلة النضال والتجدد والحياة [١].

ونحن لا نختلف مع رقية زيان في كون القصيدة كتبت على اثر النكسة، ولكن كيف ترى أن الشاعر يستشعر التفاؤل والحياة في هذه القصيدة ؟ فقارئ القصيدة يستشعر السخرية و ألم الشاعر لهذه الهزيمة التي كانت بمثابة طوق النجاة للغريق الفلسطيني في الخلاص من المحتل الاسرائيلي يقول :

"**في الخامس،**

من شهر حزيران الماضي،

لا أبكي !

لا أضحك !

فألم الشاعر أفقده الاحساس بالحياة، فلم يعد يعرف أيضحك سخرية لما حدث أم يبكي على شعبه ووطنه المحتل، فالدكتورة رقية زيدان لم تنطلق من شرط ملائمة الخطاب النقدي وإنما ركزت على فنية النص وهذا ليس من خصوصية الخطاب النقدي كما يرى محمد الدغمومي "إن الخطاب النقدي يحتفظ بخصوصيته لا لكونه علماً أو فناً، لان هاتين الصفتين عرضيتان ولا تدخلان في صلب التحديد المفهومي للنقد وإنما الخصوصية تتبع من شرط الملائمة الذي يوجه افعال الخطاب في اتجاه مجال الخطاب الأدبي كأنتاج معروفة بالأدب[٢]"

فيما ترى الباحثة أمل عبد اللطيف أن الشاعر في هذه القصيدة أراد أن يوصل للعدو بأن لا تفاوض بعد اليوم، فقد حان وقت الفعل، فكثرت الموت اسقطت عنه رهبته في نفس الشاعر حتى غدا نزهة يريح فيها الثائر عن نفسه وجسده، فمن أثار هذه النكسة والاحداث التي جرت اصبح لا قيمة للموت[٣] وهنا ينبغي أن نعقب بأن الموت الذي تحدث عنه الشاعر يمثل الاستسلام لأمر الواقع والرضا بهذه الهزيمة؛ لأنها صدرت برضا الاطراف جميعها ولم تكن هزيمة فطرية بل هزيمة مفتعلة بدليل إرضاء هذه الاطراف بقوله :

أرجعنا للموت حقائبه الدبلوماسيَة

واشتركوا بالجلسة غير العادية

ويرى سليم الحسني أن الشاعر يكثف المعاني المتعلقة بمسألة التعامل الايجابي مع محطات الانتكاسة المروعة، التي قتلت الثقة بالنفس عند قطاع كبير من الشعوب العربية

---

(١) ينظر: أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني :١٠٧.

(٢) نقد النقد مدخ ل ابسيتمولوجي، محمد الدغمومي، مجلة أقلام، العدد السادس ،١٩٩٠، بغداد: ٥٥.

(٣) ينظر: ظاهرة الموت في شعر سميح القاسم :٦٣-٦٤.

والاسلامية، والقت ظلالا مخيفة على الواقع العربي، وتحولت بسرعة الى حقائق سياسية مؤثرة على معادلة الصراع العربي الاسرائيلي، إذ ينظر الشاعر الى الانتكاسة على أنها لحظة ولادة جديدة، للإنسان العربي، لأن الهزيمة خلقت فيه رغبة التمرد الواعي على الواقع المتخلف، فولدت في أعماقه الثورة، والذي دفعه الى اعلان هذه النتيجة الخطيرة قناعته بأن الهزيمة لم تقلل من مقومات الثورة .. وان الخسائر قد حدثت في موازين القوى لم تصب في مكونات الجسم العربي،، واذا كانت الهزيمة قد سلبت الكثير من الواقع، الا انها في المقابل خلفت الارادة الثورية داخل الانسان التي يمكن أن تحرك الاجزاء المتبقية عنده الموزعة على التاريخ والارض والهوية(١).

من خلال قراءة القصيدة والبحث في خباياها، لم نجد أي مسوغ لكلام الباحث، فعن اي تفاؤل يتحدث الباحث؟ فالقصيدة عبارة عن خطاب عتب وسخرية من الجيوش العربية وكأن الشاعر في هذه القصيدة استشعر المستقبل الذي نعيشه الان، فهو يتحدث عن خطر هذه الهزيمة وكأن الشاعر اراد القول بأن العرب مجتمعة لن تهزم اسرائيل، فمتى ستنهزم بعد أن يقوى جذرها الخبيث في هذه الارض الطيبة ؟ وستعود الامور طبيعية، سيرضى العرب الذل والهوان وستسعى اسرائيل الى تفرقة صفوف الجيش العربي للحيلولة دون قيام جيش موحد قوي يشكل خطراً يهدد بقاءها، وهذا ما حدث فعلا فنحن نعيش المستقبل الذي قصده الشاعر، ونعيش آثار كل تلك الهزائم، لا تستطيع الدول العربية تحريك ساكن فيما يخص وجود اسرائيل، فلو يعلم الشاعر ما يحدث الان من قبول الدول العربية بوجود اسرائيل وتوقيع اتفاقيات فيما بينها لترك النضال وترك المقاومة، وكسر قلمه فكل ما كتبه وعاشه لم يؤثر بالعرب ولم يمنعهم من الاتفاق مع العدو الاول فكل قصائد الشاعر تقريباً تحدثت عن نضال الفلسطيني وحده كاليتم، وكأن القضية قضيته وحده فلا أحد يعاني من هذا الاحتلال سواه ولم تهدر دماء سوى الدماء الفلسطينية التي نجحت اسرائيل الآن في تفرقت الصف العربي ولم تعد قضية قومية بل قضية وطن واحد، هذه الرؤية المستقبلية التي نجدها في شعر الشاعر تحققت فعلا. وفي قصيدة (عزيزي ايفان الكبيبفتش) يصور الشاعر ما حدث في حرب اكتوبر إذ بدأت المعركة بالانتصار وانتهت بأنكسار جديد ،ضاعت على اثرها المزيد من الدماء العربية، وسفكت المزيد من الدماء، في البداية مزج الشاعر مشاعر الامل والانتصار، بسبب ما تشيعه وكالات الأنباء من أخبار الانتصار، لكن هذا الشعور سرعان ما تبدل الى الحزن و

(١) ينظر: عن تجربة الشاعر سميح القاسم : دراسة في شعر الانتفاضة، سليم الحسني، مجلة جهة الشعر www.jehat.com .

الالم بسبب الهزيمة [١] إذ يقول[٢]:

جبيني مثقل بالوحل، يا ايفان
وقلبي غاب اياما وراء وكالة الانباء
وعاد لي محمولا مع الجرحى
على حمالة حمراء !
ورايـاتي كانت تمد الريح بالنخوة
مهللة : يا هلا مرحى ! يا هلا مرحى!

ونحن نتفق مع ما ذهبت اليه الباحثة أمل عبد اللطيف، فإن أحداث اكتوبر أثرت في الشاعر أيما تأثير، فقد ذكر الشاعر هذه الحادثة في أكثر من قصيدة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عمق تأثر الشاعر بهذه الحداثة، فأخبار الانتصار التي أشاعتها وكلات الانباء ' دبت في قلب الشاعر الامل بالانتصار والخلاص وبنى الشاعر أمال كثيرة بهذه الاخبار، ولكن الشاعر صُدم بالواقع الاليم الذي كام مفاده الهزيمة الاليمة و الانكسار، ففي قصيدة سقوط الأقنعة التي يقول في مطلعها [٣] :

سقطتْ جميع الأقنعة
سقطت .. فإمَّا رايتي تبقى .
وكأسي المترعة
او جثَّتي والزوبعة سقطت جميع الأقنعة

إن سميح القاسم في هذه القصيدة يصرخ سقطت جميع الأقنعة، سقطت بعد نكبة ١٩٦٧، إن مجلس الامن الدولي أصبح لعبة في أيدي الدول الكبرى، فقد اصبح عاجزاً عن كل شيء الا مباركة خطوات في التوسيع والتخريب، فهو يعرض قضية وطنه التي مضى عليها عشرون عاما دون أن تحل، وهو واثق أن هذا المجلس أعجز من أن يجد حلا ، فهو يتسم باللامبالاة أمام ما يجري من أحداث دامية ضد العرب في فلسطين والارض العربية المجاورة [٤].

---

(١) ينظر: ظاهرة الموت في شعر سميح القاسم، امل عبد اللطيف داود حسن :١٣١.

(٢) الأعمال الكاملة للشاعر سميح القاسم/١، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣: ٣٢٢-٣٢٣.

(٣) الديوان: ٦٢٩.

(٤) ينظر: الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني بعد المأساة، إعداد: أمين صالح محمود عبد ربه، بإشراف أحمد الشرياصي، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧ :٢٤٠-٢٤١.

وترى ايمان شعبان أن القدس القديمة هي المكان الذي سيلتقي فيه المناضل الفلسطيني مجلس الامن، هذا المجلس الذي سقط القناع عن وجهه، فهو لم يتخذ أي قرار فعلي منصف منذ سقوط فلسطين بيد الاحتلال ١٩٤٨، وحتى عام ١٩٦٧، فالجرائم مستمرة، وتحرير هذه المدينة منوط بأهلها، ودرب الحرية لا يرصف الا ببذل الدماء، ونداء الشاعر هنا لا يخلو من السخرية من واقع هذا المجلس فقراراته لا اهمية لها (١)

ونحن نتفق مع ما ذهبت اليه الباحثة فالشاعر كتب هذه القصيدة أثر نكبة ١٩٦٧وبعد أن اكتشف الشاعر وجه الخبث في مجلس الامن الدولي الذي اتخذ قرارات تؤيد الاحتلال الاسرائيلي وتدعمه في قراراتها، هذا المجلس الذي عرضت عليه قضية فلسطين منذ أكثر من عشرين عاماً لكن دون جدوى، لأنه أداة بيد اسرائيل وقراراته كلها مجحفة وظالمة للشعب الفلسطيني الجريح فالشاعر أرخ في هذه القصيدة التاريخ الاسود لهذا المجلس وكشف عن نواياه أمام العالم أجمع لكن دون جدوى. وفي(قصيدة الدم الصهيل) التي يقول فيها (٢):

يا قاصـــداً بغـداد
ســـــلم على أهلي
وقل لهم :"يا ناس
يمـــوتُ في الذل !"
يا راحلاً لمـــــصر
بُس لي الضـــريح
وارفع مـــن الدموع
سيفاً وقـــوس نصر

ترى ايمان غالب شعبان أن الشاعر في هذه القصيدة يبرز أثر موت جمال عبد الناصر١٩٧٠، في بغداد، فقد كان المناصر والداعم لبغداد،، وبموته فقدت هذه المدينة الداعم، والسند والحماية، وهنا اتسعت بغداد لتعبر عن أقطار الوطن العربي، فجميع أقطار الوطن العربي شعرت بالحزن والاسى لفقد هذا القائد الشجاع (٣).

وفي قصيدة (زنابق لمزهرية فيروز) تظهر القدس عام ١٩٦٧ حزينة مثقلة بهمومها وآلامها وجراحها، نتيجة سقوطها بيد الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧، ولعمق العلاقة بين هذا المكان وابنائه، فان الحزن الذي يسيطر على هذه المدينة، ترك أثرا واضحا في قلوب ابنائها،

---

(١) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم :٥٥.
(٢) الاعمال الكاملة : ١٤/٢ .
(٣) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم :١٧٢.

فضياع القدس هو ضياع المستقبل، ويشارك أبناء الامة العربية اخوانهم الفلسطينيين في هذا الالم [١] في هذه القصيدة يقول[٢]:

من أين يا صديقه
حملت المزهرية
والنظرةَ الشَّقية
***من القدس العتيقة.**
_ ومن يا ترى رأيتِ
في عَتْمة القناطر
من شعبنا المهاجر

إن الشاعر في هذه القصيدة انطلق من دائرة تسجيل الموقف والاحداث، فأراد أن يثبت هذه الصورة في ذاكرة الانسان الفلسطيني خاصة والعربي عامة، ليصور جرائم هذا العدو المحتل [٣] ونحن نتفق مع ما ذهبت اليه الباحثة، فتسجيل الحدث، هو تذكرة للفلسطينيين وللعالم أجمع بأن القدس عربية وتم احتلالها من العدو الصهيوني عام ١٩٦٧، ونرى جوا من الحزن والتشاؤم يخيم على المدينة وابنائها نتيجة سقوطها بيد الاحتلال .وفي (قصيدة حتى الموت) التي نضّمها بعد نكسة ١٩٦٧ والتي يقول في مطلعها [٤] :

_ طوال الليل غنيت !
طوال الليل .. لم يشعر بك الموتى
طوال الليل ..غصَّ البيت أشباحاً
وفض بكارة العتمة في عنف قطار الصبحْ
ومرَّ ببابك المعقود فوق الجرح
ونادى :
" آن أن تُغفي في صمت .. وترتاحا !

هذه القصيدة هي من أولى القصائد التي قالها الشاعر بعد نكسة عام ١٩٦٧، ولذلك يبدو جو الكآبة والسوداوية، ممزوجاً بلغة التحدي، واضحيين جداً، وفي القصيدة دلالة على كبر وقع الهزيمة التي جاءت ساحقة للآمال والأحلام، التي عاشها الفلسطينيون عموما ولاسيما شعراء المقاومة. فالقصيدة مجموعة من المراحل، فقد كان المقطعان الاول والثاني أقرب الى

(١) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم :٣١.
(٢) الديوان :٢٠٦.
(٣) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم: ٣١.
(٤) الديوان : ٥٢٨ .

الاستسلام للهزيمة، في حين جاء المقطعان الثالث و الرابع محاولة لرفض الواقع والتمرد عليه[١].

ونحن نتفق مع ما ذهب اليه الباحث، فهذه القصيدة تُظهر وقع هزيمة ١٩٦٧، وما رافق هذه الهزيمة من حزن والم و والرضوخ لواقع الهزيمة، ولكنه حزن ممزوج بالتحدي والاصرار فعلى الرغم من كل الخسائر تبقى فلسطين عربية واسرائيل محتلة. وفي(قصيدة الطريق الى جبل النار) ترى الباحثة إيمان غالب شعبان مرقة انها تصور مدينة نابلس، هذه المدينة التي اشتهرت بنضالها وثورتها ضد المحتل وعدم السكوت بل بقيت ثائرة على الرغم من كل شيء، وفي عام ١٩٧٤، شنت قوات الاحتلال حملة واسعة من الاعتقالات بحق أبناء هذه المدينة، واودعتهم السجون إذ فقدت هذه المدينة شيئاً من تألقها النضالي، التي كانت تتميز به، فلم تعد كما السابق المدينة المقلقة للأعداء، الآن دخلت دائرة السكون، نتيجة الحملة الشرسة عليها [٢] يقول فيها[٣] :

وإني رسول جبال الجليل الى جبل النار
من مرشدي ؟
يقولون انت اهتديت الى جبل النار
أصرخ يا ناس لم اهتدِ
الى جبل النار هل تسمعون وهل تفهمون ؟
الى جبل النار لم اهتدِ

في هذه القصيدة يظهر آسى الشاعر على هذه المدينة، فبعد أن كانت قبلة المقاتلين، الان تتعرض لهجوم شرس، تشن القوات الاسرائيلية الاعتقالات بحق أبنائها، محاولة منها لإنهاء الدور المقاوم الذي يقوم به ابناء هذه المدينة لكن الشاعر لن يستسلم مثله مثل ابناء هذه المدينة، ويتوعد بأن تعود هذه المدينة الى نضالاتها السابقة مثل جميع المدن الفلسطينية. وفي قصيدة (أدافع) تتعرض مدينة بيروت الى العدوان الصهيوني عام ١٩٨٢، والشاعر يتشوق الى الوقوف الى جانب هذه المدينة التي وقفت الى جانب الفلسطيني وساندته في نضالها ضد العدو نفسه، فهذه الحرب تأخذ بعداً سياسياً [٤]، فالشاعر يُظهر ألمه وحسرته على واقع بيروت وواقع فلسطين فهذه الحرب هي هجوم ومحاولة لإبادة الوجود الفلسطيني

(١) ينظر: المقاومة في الشعر العربي المعاصر :١٣٧- ١٤٠.
(٢) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم: ٨٢.
(٣) الاعمال الكاملة : ٣١٧/٢ .
(٤) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم :١٥٧-١٥٨.

فيها، وذلك دليل قاطع على أن الدول العربية تلتحم فيما بينها،وترتبط برباط العروبة، فعدوهم واحد، وهو محاولة زرع الفرقة لإضعاف هذه الامة محاولة للسيطرة عليها يقول في مطلعها[١]:

الطائرة الإسرائيلية
العائدة الى قواعدها سالمة
تترك وراءها خطاً أبيض طويلاً
ذلك الخط المتوعد كحبل المشنقة
هو البيت الاول في النشيد
أما بعد

وفي قصيدة (مأساة هوديني المدهش) تنبأ الشاعر سميح القاسم بحدث قادم، وهو المنقذ، تنبأ بانتفاضة الحجارة ١٩٨٧، ويقول فيها[٢] :

أهْوَتْ على العَتبة
زَرقاء مُقْتَضَبَةْ
في كَفّها جَمرٌ
وَدَمٌ على الرَقَبةْ
وفَرَشةٌ في الصدر مُلْتَهِبَهْ
أهوتْ على العَتَبهْ

يشعر الشاعر بشيء من العجز والحزن العميق وعدم قدرته على تغير الواقع، فهو يشعر بأنه يلتهب من الحزن، بسبب الهزائم والانكسارات التي يتعرض لها في وطنه وفي الوطن العربي أجمع يقول رجاء نقاش "إن سميح القاسم في هذه القصيدة يصور لنا القوة "القوة الروحية" في الانسان عندما تعجز الوسائل العادية والتقليدية، وعن حمايته والدفاع عنه، وأن الانسان هنا يجدد ويبتكر لعل سميح القاسم تنبأ بشيء قادم فها هو الانسان الفلسطيني يبتكر هذا الاسلوب الثوري العجيب، الذي لم يسبق له مثيل في أساليب النضال في كل عصور التاريخ كلها، هذا الاسلوب هو المعروف بانتفاضة الحجارة "[٣]، ففي قصيدة الانتفاضة التي تنتمي الى ديوان الشاعر (لا استأذن احدا) الصادر في بيروت عام ١٩٨٨، وفي بداية القصيدة عنوان فرعي بسيط يقول (رسالة الى غزاة لا يقرأون) أي غزاة لا يقرأون التاريخ[٤]

---

(١) الأعمال الكاملة: ٧٣/٣ .

(٢) المصدر نفسه: ١٩٣/٣ .

(٣) ثلاثون عاما مع الشعر والشعراء، رجاء نقاش، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٢ :٣٦٧-٣٦٦ .

(٤) ينظر: المقاومة في الشعر العربي المعاصر :١٤٩.

ونحن لا نتفق مع ما ذهب اليه الباحث، حول العنوان الفرعي، فهذا ليس عنواناً بل هو تصدير للقصيدة قبل الولوج اليها، لينقل الى المتلقي فكرة أن العدو الذي يتعامل معه الشاعر لا يقرأ فلو كان يقرأ التاريخ والثقافة والتراث لما تجرأ على أرض ليست أرضه، وينسب لنفسه وطناً ليس وطنه، فهذا العدو أشبه بالسارق الذي تبرر له غايته الوسيلة، يقول في مطلعها [١]:

تقدَّموا تقدَّموا
كلُّ سماءٍ فوقَكم جهنّمُ
وكلُّ أرضٍ تحتُكم جهنّمُ
تقدَّموا
يموت منَّا الطفلُ والشيخُ
ولا يستسلمُ
وتسقُطُ الأم على أبنائها القتلى
ولا تستسلمُ

ترى رقية زيدان أن هذه القصيدة التي تضج بالإيقاع الثوري نظمها الشاعر خصيصاً لانتفاضة الحجر عام ١٩٨٧، وفيها يخاطب المحتل الذي يمارس القتل والاعتقال على شعب أعزل لا يمتلك الا الحجر، وهذه القصيدة موجهة الى غزاة لا يقرأون أي لا يقرأون الواقع والتاريخ[٢] ولا يعلمون أن من المستحيل أن يتخلى العربي عن أرضه مهما تعرض لأشد أنواع التعذيب والقتل فهذه أرض أجداده وأبنائه، فهم لا يقرأون التاريخ، لانهم يعلمون جيداً الحقائق الصحيحة التي لا تتناسب مع أطماعهم الاستعمارية .

أما الباحثة ايمان غالب شعبان، ترى أن مدينة غزة في هذه القصيدة تتحول الى ساحة حرب حقيقية في الانتفاضة الفلسطينية التي حدثت عام ١٩٨٦، وهذه الانتفاضة تتحدى المحتل بكل ما لديه من جبروت، من أن يدخل هذه المدينة، فالانتفاضة هي التي سترسم مستقبل الشعب الفلسطيني هذا الشعب الذي سينتصر وسيحقق ما لديه من آمال وسترسم الانتفاضة الطريق الى النصر وهزيمة العدو الصهيوني، فكل جزء من أجزاء هذه المدينة يثور ويناضل ويشارك في هذه الانتفاضة رافضا الخضوع والاستسلام مفضلا الموت على حياة الذل[٣].

---

(١) الاعمال الكاملة: ٣ / ٤٠٥.
(٢) ينظر: اثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني :٧٤-٧٥.
(٣) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم :١١٨-١٢٢.

كما ترى الباحثة بخدة علي أن هذه القصيدة هي وليدة وقع الانتفاضة الاولى فسياقها التاريخي يتناول أحداث هذه الانتفاضة لما تحمله من معاني سامية وأفكار جبارة اراد الشاعر نقلها الى المحتل [١].

في هذه القصيدة (الانتفاضة) أرخ الشاعر سميح القاسم لهذه الانتفاضة على طريقته الخاصة فهو بهذه القصيدة استنهض الهمم أيضا، وأعلنها صراحة بأن شعبه لا يستسلم .فهذه القصيدة حضرت في الحرب على غزة وكتبها الشاعر اثناء الانتفاضة الاولى [٢]

ويرى الباحث القذافي محمد احمد أن هذه القصيدة ليست نواحا بقدر ما هي إشراقات تصدر من صميم المعاناة حملت كل معاني المقاومة في الاستبشار بالغد المشرق، على الرغم من كل الظلم والاستبداد والقتل الذي يمارسه الاحتلال وهي في الوقت ذاته انعكاس حقيقي لما يجري في الاراضي المحتلة انذاك، وهو اندلاع ثورة الحجارة الاولى التي بدأت في شهر ديسمبر ١٩٨٧[٣]

ونحن نتفق مع ما ذهب اليه الباحث فهذه القصيدة التي تعد نشيد الصمود تذكر الفلسطينيين بالانتفاضة، والمقاومة، وهي بقدر ما تلهب حماسة الفلسطينيين، تشكل تهديداً خطراً على الصهاينة المحتلين، فهذه القصيدة هي نشيد المقاوم في كل مكان في فلسطين وسترافقهم في جميع انتفاضاتهم وثوراتهم المستقبلية لما تحمله من معاني الاصرار والثبات فعلى الرغم من كل ما يحدث لن يستسلم الفلسطيني إمرة أو شيخا أو طفلا أو رجلا .وفي قصيدة (القطار العائد من الصعيد) التي يقول في مطلعها[٤]:

"**على نبضات قلبي . آه . كانت تنبض العجلات**

على نبضات قلبي . آه

وقلبي كان يا أسوان : واحدة من الورشات

دواليبا و صيحات وجرّافات "

ترى إيمان غالب شعبان أن الشاعر ركز على البعد التاريخي في هذه القصيدة، وجاءت مدينة القاهرة من خلال موقفها تجاه الشعب الفلسطيني في انتفاضته الباسلة عام

---

(١) ينظر: الخصائص الأسلوبية في شعر سميح القاسم قصيدة تقدموا انموذجاً، إعداد الطالبة بخدة علي، اشراف د. المكروم سعيد، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم /الجزائر، ٢٠١٨-٢٠١٩ : ب

(٢) ينظر: بحث مؤتمر جامعة بيت لحم للعام ٢٠١٥ بمناسبة ذكرى وفاة الشاعر سميح القاسم : سربية انا متأسف و دحض الفكر الصهيوني :١.

(٣) ينظر: المقاومة في الشعر العربي المعاصر :١٤٩.

(٤) الديوان :٣٧٤.

١٩٨٧، وهي تفتح أبوابها للشعب الفلسطيني، وكذلك في رفض ابناء مدينة القاهرة ان يتنازل الرئيس جمال عبد الناصر عن الحكم بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ فهم يرتبطون به أشد الارتباط، وهم يرونه الرئيس الذي استطاع أن يحقق أمل الامة العربية ببناء السد العالي . وان يبعث كرامتها من جديد، من خلال هذا الانجاز . لذا سيظل هو الرئيس الذي يحافظ على عربية هذه الامة، ووجودها، وسيظل هو الداعم والحامي والناصر للشعب الفلسطيني في مجابهته للمحتل الصهيوني، فعبد الناصر هو الامل بالخلاص من قيود المحتل، ولن يتنازل الشعب الفلسطيني عن هذا الامل، والقاسم يشيد بالموقف الايجابي المساند للشعب الفلسطيني في انتفاضة عام ١٩٨٧ [١] .

ونحن نتفق مع بعض ما ذهبت اليه الباحثة، فالشعب المصري ساند الشعب الفلسطيني في انتفاضته ضد المحتل عام ١٩٨٧، ولكن الشعب الفلسطيني رأى في الرئيس المصري جمال عبد الناصر الرئيس الذي سيحقق الامل بالوحدة ؛لان الشعب الفلسطيني يغرق يوما بعد يوم فهو كالغريق الذي يتعلق بقشة، وخطابات الرئيس المصري دبت في قلوب الفلسطينيين الامل بالخلاص، ولم يكن في الوطن العربي غير هذا الرئيس الوحيد الذي اشهر كلمته في الوقوف بوجه اسرائيل لحماية شعبه، لهذا يرى الفلسطيني فيه القائد الكبير والامل بالخلاص. وفي سربية الصحراء، يصور الشاعر التناقضات في العالم العربي وفي العالم أجمع، فبينما ينام الشعب يصحو على ممارسات الاحتلال البشعة، من قتل وأسر وتخريب، والعالم يتغنى بشعارات الحرية الكاذبة وتماثيلها من جهة، ويمد الاحتلال الاسلحة ويتفنن بالقتل والتعذيب والدمار من جهة أخرى ليصبح القتلى بالوف في لبنان وفلسطين من خلال مجزرتي صبرا وشتيلا، فأن أحداث بيروت عام ١٩٨٢ وما سبقها وما لحقها من غزو القوات الاسرائيلية للبنان وحصار بيروت، ومطاردة المقاتلين الفلسطينيين، وترحيلهم الى لبنان، فضلاً عن مجزرتي صبرا وشتيلا، فكل هذه الاحداث تركت اثرها البارز والحزين في الشاعر إذ يقول [٢] :

طوابير اسرى وقتلى
وتصحو
جماهير قتلى واسرى
هنا يقذف "العالم الحر"
كيس النفايات

---

(١) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم، ايمان غالب شعبان مرقة :١٩٢-١٩٤.
(٢) الأعمال الكاملة للشاعر سميح القاسم/٣، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣: ٣٤ .

هذا ملاك الجريمة

آت على متن "حاملة الطائرات"

ففي هذه القصيدة يظهر التناقض بين ما تقول الشعارات العالمية وبين ما يحدث على أرض الواقع، ففي الوقت الذي يهتف العالم بالحريات والشعرات المسالمة يرتكب الجيش الاسرائيلي أبشع الجرائم والمجازر، ويقمع الحريات، والعالم يقف صامتاً، كالتمثال، فالشاعر يعيب هذا التناقض الكاذب، وينبه العالم بأن مجازر ترتكب في لبنان وفلسطين، وناس تشرد وتهجر، فيجب نبذ الشعارات، والوقوف بوجه الطاغية الحقيقي الذي يقمع الحرية . وفي قصيدة في القلب صلاح الدين التي يقول فيها[١] :

ونغني ... ورقاب الأكراد
بين الأنشوطة والسكين
من إسطنبول الى بغداد
ونغني
ونغني
"يا ليلى يا عيني
في القلب صلاح الدين"

ترى إيمان عبد اللطيف أن هذه القصيدة تظهر مدينة بغداد، إذ يتعرض الأكراد للانتهاكات المستمرة والجرائم الوحشية عام ١٩٨٨من قبل السلطة الحاكمة في بغداد، دون أن يبدي العالم اهتماما بوقف تلك الممارسات العنيفة، بحق هذه الأقلية، إذ ظهرت مدينة بغداد من خلال كونها تضم تلك الاقلية التي تتعرض للعنف والقسوة، ولم يكن استحضار بغداد اعتباطياً، إنما جاء لطرح قضية الاقليات في الوطن العربي، فهو يتحدث عما يعانيه من التمييز الطائفي بين الدروز والطوائف الاخرى من قبل السلطات الاسرائيلية [٢] .

وهنا ينبغي الرد على الباحثة بأن الحقائق التاريخية التي عرضتها في تحليل القصيدة لم تكن صائبة، فليست بغداد هي من تضم الاقلية الكردية في العراق، والانتهاكات التي جرت لم تكن في بغداد أيضا، إنما جرت هذه الأحداث في شمال العراق عام ١٩٨٨، في مدينة حلبجة، فهي التي تعرضت للإبادة، والقمع من قبل السلطات الحاكمة، ولا نختلف مع الباحثة فيما ذكرته حول إثارة هذه المسالة من الشاعر، من أجل تسليط الضوء، على الأقليات في الوطن العربي، وفيما نراه من ذكر الشاعر لمدينة بغداد كونها تمثل السلطة الحاكمة في ذلك الوقت فهي العاصمة، وقرارات السلطة الحاكمة تصدر منها .

---

(١) ديوان سأخرج من صورتي ذات يوم، قصائد، سميح القاسم، مؤسسة الاسوار عكاظ، ط١، ٢٠٠٠: ١٨٥.

(٢) ينظر: المدينة في شعر سميح القاسم :١٧٥.

الخاتمــة

- نجد أغلب الدراسات التي درست شعر القاسم تاريخيا أخطأت في توثيق الأحداث، بسبب الاعتماد على مصدر تاريخي واحد، وفي الدراسة التاريخية للأدب يحتاج الناقد الى العديد من المصادر التاريخية، والمقارنة بينها للوصول الى حقيقة الحادثة التاريخية، وبالتالي انعكاس هذه الحقيقة في موضوعية تناول الخطاب النقدي لدى الشاعر.
- تنوع التحليل النقدي السياقي التاريخي للقصيدة الواحد، بسبب تنوع المصادر التي تناولت الحادثة التاريخية نفسها .
- التداخل الكبير بين المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي، في تحليل ونقد الشعر، فمن المعلوم للحوادث التاريخية أثر، اجتماعي في حينها، لذلك نجد تداخلاً بين المنهجين في دراسة الشعر، فلا يمكن فصل الاحداث التاريخية عن جملة الآثار التي خلفتها في ذلك المجتمع، فكل واقعة اجتماعية مع مرور الزمن تصبح حادثة تاريخية، وموضوع للشاعر أو الاديب أو المؤرخ، لكن الشاعر يختلف بأنه يصيغ هذه الحادثة جماليا، وعاطفيا أكثر من غيره، وهكذا الشاعر سميح القاسم ترك المتلقي ما بين التلذذ بالشعر وايقاعاته وموسيقاه، وما بين الانتفاع بمعرفة الحادثة التاريخية الاليمة التي عصرت قلوب الملايين في ذلك الوقت، وكل هذه الاشعار صادرة من روح متألمة، وحزينة وكأن الشاعر نقل هذا الحزن ليخرج من دائرة الفردية الى دائرة أوسع هي دائرة النضال الوطني الكبير.

ثبت المصادر

أولاً: الكتب

- الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨ إلى ١٩٦٨، د. محمد عبد عبدالله عطوات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- أثر الفكر اليساري في الأدب الفلسطيني محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، رقية زيدان، دار الهدى، ط١، ٢٠٠٩.
- الأعمال الكاملة، سميح القاسم، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣.
- آليات الخطاب التهكمي واتجاهاته في شعر سميح القاسم، جمال طالبي وعسكر بابازاده اقدم، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، العدد١، ١٤٣٨.
- بحث مؤتمر جامعة بيت لحم للعام ٢٠١٥، بمناسبة ذكرى وفاة الشاعر سميح القاسم، سربية أنا متأسف ودحض الفكر الصهيوني.
- تاريخ فلسطين الحديث، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١٠، ١٩٩٠.
- التراث الديني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية، محمد خاقاني اصفهاني ومريم جلائي ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، فصلية محكمة، العدد٥، ربيع ١٣٩٠-٢٠١١ .
- ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء، رجاء نقاش، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٢.
- الخصائص الأسلوبية في شعر سميح القاسم، قصيدة تقدموا أنموذجاً، إعداد الطالبة بخدة علي، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم- الجزائر، إشراف المكروم سعيد ٢٠١٨-٢٠١٩.
- دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد ١٩٧٠، إعداد جمال مجناح، إطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة- الجزائر، إشراف أ.د العربي دحو ٢٠٠٧-٢٠٠٨.
- ديوان الشاعر سميح القاسم، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧.
- ديوان سأخرج من صورتي ذات يوم، قصائد، سميح القاسم، مؤسسة الأسوار، عكا، ط١، ٢٠٠٠.
- ظاهرة الموت في شعر سميح القاسم، إعداد أمل عبد اللطيف داود حسن، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، إشراف أ.د إحسان الديك ٢٠١٧.

❖ الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني بعد المأساة، إعداد أمين صالح محمد عبد ربه، إطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية، إشراف الدكتور أحمد الشرياصي ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
❖ في آليات النقد الأدبي، عبد السلام المسدي، دار الجنوب، تونس، د.ط، ١٩٩٤.
❖ المدينة في شعر سميح القاسم، إيمان شعبان مرقة، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، إشراف د.نادر قاسم، ٢٠٠٦.
❖ المقاومة في الشعر العربي المعاصر محمود درويش وسميح القاسم أنموذجاً، إعداد القذافي محمد أحمد القائدي، رسالة ماجستير، جامعة سرت، كلية الآداب قسم اللغة العربية، إشراف د.كولان علي السنوسي الشريف ٢٠١١-٢٠١٢.
❖ مناهج النقد الأدبي، يوسف وغليسي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
❖ مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، دار ميرت للنشر والمعلومات، ط١، ٢٠٠٢.
❖ النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط١، ٢٠٠٣.
❖ نقد النقد، مدخل أبستيمولوجي، د. محمد الدغمومي، مجلة الأقلام، بغداد، العدد٦، ١٩٩٠.

ثانياً: المواقع الالكترونية

❖ تسلسل للتاريخ الفلسطيني منذ الحرب العالمية الأولى، تقرير bbc news، يوليو/ تموز، ٢٠١٧. http://www.bbc.com/arabic
❖ مقال بعنوان عن تجربة الشاعر سميح القاسم، زمن الحجارة، دراسة في شعر الإنتفاضة، مجلة جهة الشعر http://www.jehat.com/ar/sha3er/pages/sameeh/alqassim.html
❖ من هي ليلى العدنية التي خصها الشاعر سميح القاسم بملحمته الشعرية؟، إعداد أنس خالد، مجلة عدن الغد، الجمعة، ٢٩ نوفمبر، ٢٠١٣ https://adengd.net/news/79682/